الإدغام والإبدال في أبنية الفعل
(من دروس لغة التنزيل)

الدكتور
إبراهيم السامرائي
كلية الآداب – جامعة صنعاء

للفعل في لغة التنزيل العزيز مكان خاص من حيث مبانيه، ثم من حيث دلالته على الزمن، ثم من حيث انصرافه إلى ما يتصل بالإسلام.

وقد كان لي في هذا الدرس مشاركة عرضتها في جملة من تصانيف، وأخرى كانت في ندوات علمية ولقاءات متخصصة نشرت في مقررات هذه الندوات واللقاءات.

وإني اليوم لأعرض إلى باب الإدغام في شيء من أبنية الفعل في هذه اللغة الكريمة، وسأبدأ درسي هذا مستقرياً مادته الخاصة بحسب حروف المعجم فأقول:

١ـ أَتَى:[١]

أقف من هذا الفعل على صيغة الأمر فأجدها في "ائْتِ" فأقول:

إن الألف الأولى في الرسم همزة كسرت لمحاً للوصول إلى همزة الفعل الأصلية، وهي ساكنة في الفعل الثلاثي الأمر عامة. وهذه الهمزة الأولى تحرّك

(١) دلالة الفعل "أتى" على المجيء معروفة، والفعل متعدٍ ولازم، وقد يتوسع في دلالة الإتيان فيكون كقولك: "أتيت بالشيء، ثم ذهب الاستعمال إلى "الإتيان" بالمنكر أو الفاحشة كقوله تعالى: "أتأتون الفاحشة" و"أتأتون الذكران من العالمين". ووصول الفعل إلى مدخوله يتم في الأصل بالباء، أي أتأتون بالفاحشة، غير أن هذه الباء سقطت فوصل الفعل بمدخوله، وهذا =

لمحاً بحركة عين الفعل الثلاثي، وهي من هنا صوت طارئ جيء لبناء صيغة الأمر الثلاثي الساكن الفاء، كما في المثال المذكور.

أقول: لا بدّ لي أن أشير أن "الإدغام" هو في حقيقته دخول صوت في صوت آخر، وقد يحصل في هذا الدخول تشديد هذا الصوت المشتمل على صوتين بينهما قرابة ما من غير أن أذهب إلى هذا التحديد في هذه القرابة، إن هذا الذي أدعوه قرابة سمع في العربية وكان لنا منه ظهور واضح كما سنرى.

ثم إن الإدغام يصار به إلى الخفة التي جرت عليها العربية، وهي ما نراه في كثير من الأبنية، وسنرى ذلك.

وأعود إلى فعل الأمر "إئتِ" فأقول إن وجود الهمزتين مظنة ثقل في العربية فأنت تذهب بالهمزة الثانية التماساً للخفة إلى الكسرة الطويلة تلي الهمزة الأولى التي اجتلبت للأمر، فأنت تطلب من مخاطبك كتاباً مثلاً فتقول:

"إيتِ بالكتاب".

أقول: وهذا الإبدال قد يطلق عليه مصطلح "التسهيل" للهمزة، وهذا يعني أن الهمزة ثقيلة ولذلك قالوا: "إن قريشاً لا تنبر" أي لا تهمز، ومثل قريش قبائل أخرى

= جاء في العربية كثيراً.

ويذهب المزيد بالهمزة من هذا الفعل وهو "أتى" إلى معنى "العطاء" وأقول:

كأن هذا الفعل الرباعي لا صلة له بالثلاثي "أتى"، وإنه من "أعطى"، ثم حصل إبدال العين بالهمزة الثانية في "أَ أْتى"، وإبدال التاء بالطاء فيكون من ذلك "آتى" بمدّ الهمزة وهي همزتان في الأصل كالهمزة في "آمنَ".

أقول: ذهبت إلى هذا لأني أرى البعد بين حقيقة "الأتي" أو "الإتيان" وبين دلالته على العطاء، وليس في هذا مجاز أو توسع، وأنت تدرك هذا البعد وتتلو قوله تعالى: "وآتى المال على حبّه ذوي القربى .." وقوله تعالى: "وآتت كل واحدة منهن سكيناً" وأنت تبصر هذا حتى في قوله تعالى: "وآتيناه الحِكْمَةَ .." وفي قوله تعالى: "لعلّي آتيكم منها بقبس". وأنت بيسر تدرك "أنطى" بمعنى "أعطى"، والنون فيه تولّدت من فك الإدغام للتاء من الفعل "أتَّى" وتبدل النون من التاء الأولى. وهذا معروف في المضاعف من الأفعال والأسماء ولا سيما في الألسن الدارجة نحو: =

من غير شك. فأنت قد تسمع من يقول: "ريم وراس وشؤم" كلها بغير همز، وهذا في فصيح العربية إلى جانب المهموز في كل منها بله العامي الدراج.

إن "التسهيل" في هذه الكلمات الثلاث وفي كثير من نظائرها كان من غير شك التماساً للخفة. ومن أجل هذا كثر وروده في الشعر مع أن الهمز قد يحتمله الوزن كما في قول شوقي:

"رِيمٌ على القاع بين البان والعَلَمِ".

قد يقول القارئ: وهل هذا يندرج في الإدغام؟

أقول: إن مصطلح "الإدغام" يقتضي التشديد لأنه صوتان تحوّلا إلى صوت واحد في المنطق والرسم. ولما كان الإدغام في حقيقة الأمر التماساً للخفة وابتعاداً عن التقارب بين الأصوات، وإن اللسان قد يذهب إلى أحدهما الذي يألفه فيكون الفعل نطقاً "يطّجع" والأصل "يضطجع"، ذهبت إلى جعل "إيتِ" بالمد، من هذا الباب من حيث هو التماس للخفة.

وكأني وسّعت من دلالة مصطلح "الإدغام" فأدخلت فيه ما لم يجر عليه اللغويون.

وإذا عدنا إلى ورود هذا الفعل الأمر من لغة التنزيل وجدنا أن الثقل فيه قد ابتعد باعتماد الفعل على حركة الفتحة قبلها كما في قوله تعالى:

"فإنّ الله يأتي بالشمس من المشرق "فأتِ" بها من المغرب"[٢] ٢٥٨ سورة البقرة.

ألا ترى أن الهمزة الأولى وهي همزة بناء الأمر قد طويت نطقاً ورسماً.

ومثل هذا الأمر للواحد الأمر للاثنين كقوله تعالى:

"فأتيا فرعون فقولا إنّا رسول ربّ العالمين" ١٦ سورة الشعراء.

= قَطَّر وقنْطر وخَصَّر وخنْصَر، ودبُوس ودنبوس. وقد يكون الأول من الصوت المشدّد ياءً أو راء، ألا ترى أنّ "سيطَرَ" من "سَطَر" و"أيْما" من "أمّا" كما في الشاهد القديم "أيْما إلى جنةٍ، أيْما إلى نار"، ومن هذا من ذهب إلى أن حَرْجَمَ من المضاعف "حجَّم" و"فَرقَعَ" من المضاعف "فَقَّع"، وغير هذا.

(٢) وقد تلتمس الخفة في هذا الفعل فتطوى همزة بناء الأمر إن سُبِق الفعل بأيّة حركة كالكسرة أو الضمة كما في قوله تعالى: "وإذ نادى ربّك موسى أنِ ائت القومَ الظالمين".

وأنت لا تنطق بالهمزة الأولى وإن ثبتت رسماً. ومثلهما الأمر للجماعة، كقوله تعالى:

"وقال الملكُ ائتوني به" ٥٠ سورة يوسف.

أقول: والهمزة الأولى للأمر قد طويت لوقوعها في الوصل بعد الضمة بعد كاف "المَلِكُ". وهكذا في كل فعل أمر يأتي موصولاً بعد حركة في الكلمة التي تسبقه.

وقد طويت الهمزة الأولى وإن ظهرت الألف في الرسم.

إن "الخفة" المطلوبة للابتعاد عن توالي همزتين قد تحققت في الوصل.

أقول: ومثل هذه الخفة التي تتحقق في الوصل قوله تعالى:

"فإن أمِنَ بعضكم بعضاً فليؤدِّ الذي "اوتُمِن" أمانته" ٢٨٣ سورة البقرة.

فالفعل "اوتُمِنَ" مبني للمفعول، وقد أسكنت همزته للوصل فلصقت بالمدّ في "الذي" بعد قصر الكسرة بعد الذال، وكأنها "الّذِ".

ومن هنا جاء في القراءات:

"ومن أهل الكتاب من إن "تِيمَنْهُ" بقنطار يُؤدِّهِ إليك" ٧٥ آل عمران.

والقراءة المثبتة في المصحف "تأمَنْهُ".

والقراءة الأولى الخاصة بتسهيلي الهمزة "تِيمَنْهُ" كانت التماساً للخفة.

إن التماس الخفة في هذه المواد شيء يتطلبه حسن الأداء في التلاوة والإعراب الحَسَن.

ولنتحول إلى الإدغام الذي يؤدي إلى تشديد الصوت، وهذا إن كان تشديداً، فقد صير إليه التماساً للخفة فننظر في الفعل "اتخذ" ونحن نستقري ورود هذا الأمر في لغة التنزيل حسب حروف المعجم.

٢- أخذ:[١]

وقد بُني هذا الفعل على "افتَعَلَ" فكان "اتّخَذَ ويَتَّخِذُ" كما في قوله تعالى:

"وقالوا اتّخَذَ الله ولداً سبحانه" ١١٦ سورة البقرة.

"ومن الناس من يَتّخذ من دون الله أنداداً" ١٦٥ سورة البقرة.

أقول: وبناء "افتعل" من الفعل "أخذ" المهموز الأول يؤدي إلى إدغام همزة الفعل وهي فاؤه في تاء "افتَعَل" فتُطوَى الهمزة من غير قرب صوتي بين الهمزة الحلقية والتاء من الأحرف النطعية كالدال والطاء.

إن هذا الإدغام الذي حصل في العربية وليس من قرابة صوتية كان التماساً للخفة التي لا تتوافر في الأصل " ائتَخَذَ"[٢].

وهذه الخفة المقتضاة غالباً هي التي دفعت المعربين إلى التخلص من همزتي فعل الأمر "خُذ" والأصل "اؤخُذ". وإني لأستطرد فأذكر هذا لذكر السبب وهو "التماس الخفة".

٣- أمن:

---

(١) إن انصراف الفعل "أخذ" في دلالته في استعمالاته الكثيرة يظهر سعة العربية في الوصول إلى المعاني الدقيقة. ولو أنك استقريت ما ورد من ذلك في "لسان العرب" وفي غيره من كتب الأدب والتاريخ لوجدت عجباً.

(٢) قال الليث [وهذه عبارة الخليل في كتاب "العين"]: يقال: اتّخَذَ فلان مالاً يتّخذه اتّخاذاً، و"تَخِذَ" يَتْخَذُ تَخْذاً، وتَخِذْتُ مالاً أي كسبتُه.
قال تعالى: "لو شئتَ لتخذْتَ عليه أجراً".
قال الفَرّاء: وقرأ مجاهد "اتخِذتَ".
وقال أبو منصور [أي الأزهري]: وصحّت هذه القراءة عن ابن عباس، وبها قرأ أبو عمرو بن العلاء، وكذلك قرأ أبو زيد، وقال: وكذلك مكتوب هو في الإمام وبه يقرأ القُرّاء، ومن قرأ "لاتّخَذتَ"، بفتح الخاء وبالألف، فإنه يخالف الكتاب. وقال الليث: من قرأ "لاتّخَذْتَ" فقد أدغم التاء في الياء فاجتمعت همزتان فصُيِّرت إحاهما ياءً، وأدغِمت كراهة التقائهما.
أقول: أراد الليث [وهو الخليل]: أن التاء أدغمت في همزة "أخذ" التي هي فاء الفعل التي رسمت على الياء في "إئتَخَذَ"، ثم حصل الإدغام.

أقول: وقد ذكرت الفعل بالبناء للمفعول "اؤتمن" في آخر الفعل "أتى" وفي ذلك كفاية.

٤- تبع:

وبناء "افتَعَلَ" من هذا الفعل يؤدّي إلى إدغام تاء الافتعال في التاء وهي فاء الفعل "تَبَعَ"، كما في قوله تعالى:

"ثم أوحينا إليك أن اتَّبع ملّةَ إبراهيم حنيفاً" ١٢٣ سورة النحل.

وقد أدرجت هذا الفعل، وهو كسابقه "أخذ" جرياً على استقرائي مسألة الإدغام في الأفعال التي اشتملت عليها لغة التنزيل.

٥- ثقل:

قال تعالى: "ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقَلْتُم إلى الأرض" ٣٨ سورة التوبة.

أقول: أدرك اللغويون ومعهم المفسرون وأهل القراءات أن الفعل "اثّاقَل" في هذه الآية بمعنى "تثاقَلَ". ولم يعرض أيّ من هؤلاء لصيغة هذا الفعل، وكأنهم اكتفوا بمعناه، وأنه مثل "تثاقَلَ" مبنىً ومعنىً.

وذهبوا إلى أن فيه معنى "ملتم" على النظر في "التضمين".

حكى النضر بن شميل: ثَقَلَ إلى الأرض بمعنى أخلَدَ إليها واطمأن فيها.

جاء في "لسان العرب": فإذا صحّ ذلك تعدّى "اثاقَلتُم" في قوله – عزّ وجلّ: "اثّاقلْتمُ إلى الأرض" بـ"إلى" بغير تأويل يخرجه عن بابه.

وتثاقل القومُ: استُنهضوا لنجدة فلم ينهضوا إليها. والتثاقل: التباطؤ من التحامل في الوطء.

قلت: كأن بناء الفعل في الآية لم يستوقف اللغويين الصرفيين ولا المفسرين، وقد عدّوه مثل "تثاقَلَ".

أقول: ليس لي أن أكتفي بما جاء عن هذا الفعل، وكأني أبصر فيه الأصل وهو: "اتثاقلتم". وهذا يعني أن في العربية الفصيحة بناء "إتفاعلَ" وهو غير "تفاعَل".

وأعود إلى التماس الخفة الذي كان سبباً في الإدغام وهو في هذا الفعل أدّى إلى إدغام التاء الزائدة في الثاء فصاء لنا "إثّاقَلَ"، وسنجد نظير هذا في لغة التنزيل.

أقول: إن هذا البناء من الأبنية العربية النادرة، وندرتها تأتي من ثقلها وإن كان المعرب القديم قد سعى إلى التماس الخفة فكان له هذا الإدغام. وهي مع ذلك تشتمل على الثقل الذي لا تجري فيه طبيعة العربية، وقلة ورودها تؤيد ما ذهبت إليه.

لقد كان مثل هذا بناء "افعالَّ" وهو يرد في الألوان سماعاً نحو: احمارَّ واسوادَّ ونحو ذلك. إنه ثقيل، ولذلك لم يكن له مكان في الكلم المنظوم. لقد أشار إلى هذا المبرّد في "الكامل"[1] في كلامه على "حمارّة القيظ" التي وردت في خطبة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقد بلغه أن خيلاً لمعاوية وردت الأنبار فقتلوا عاملاً له يقال له حسان بن حسان فخرج مغضباً ....

وقد جاء في كلام المبرّد على هذه العبارة:

"وحمارّة القيظ اشتداد حرّة واحتدامه. و "حمارّة" مما لا يجوز أن يحتجّ عليه ببيت شعر لأن كلّ ما كان فيه الحروف التقاء ساكنين لا يقع في وزن الشعر إلا في ضرب منه يقال له المتقارب، فإنه جُوِّز فيه على بعد التقاء الساكنين وهو قوله:

فذاك القِصاص وكان التَقا صُّ فرضاً وحتماً على المسلمينا

ولو قال: وكان القصاص فرضاً كان أجود وأحسن، ولكن قد جاوزوا هذا في هذه العروض ولا نظير له في غيرها من الأعاريض"[2].

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ١٦/١- ١٧ (طبعة المكتبة التجارية الكبرى).

(٢) المرجع السابق نفسه.

وأود أن أقول: إن ما ذهب إليه المبرّد في مسألة "التقاء الساكنين" في"حمارّة"، ومثله عامّة أهل العربية هو من تقصير النظر القديم فالتشديد في "حمارّة" ليس التقاء ساكنين بل إنه مقطع صوتي طويل تجاوز طوله المعروف من المقاطع في الكلمة العربية.

أقول: ذكرت هذا لأشير إلى ما في هذه الأبنية من ثقل على سعي المعربين التخلص منه بالتماس الخفة في الإدغام. ومن أجل هذا كان هذا التعارض الصوتي سبباً في قلة ورود مثل هذه الأبنية.

وأنت تجد من هذا القليل قوله تعالى "مُدْهامّتان" والوصف "مدهامّ" من الفعل "ادهامَّ" ودلالته على اللون معروفة.

وأعود إلى الفعل "اثّاقَلَ" الذي ورد في الآية الكريمة فأقول إنه بناء "اتْفاعَلَ"، وليس هذا في أبنية المزيد من الأفعال في العربية. ولا أدري كيف أغفل أمره وهو شيء من أفعال قليلة جاءت مثله. وليس لأهل اللغة أن يلحقوه بـ "تفاعَلَ".

٦- حدد:

أقول: إن بناء "فاعَلَ" من الفعل الثلاثي المضعف "حدّ" هو "حادّ" بإدغام الدال في الدال. وكأن في هذا الإدغام طلباً للخفة ذلك أن "حادد" بفك الإدغام مما لم يسغه المعربون إلا في ضرورة تقتضي الفكّ.

قال تعالى:

"لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادَّ الله ورسوله" ٢٢ سورة المجادلة.

والفعل "حادّ" بناء "فاعَلَ" وهو "حادَدَ" و "حادّه" بمعنى غاضَبَه مثل "شاقَّه" وكأن اشتقاقه من "الحدّ" الذي هو الحيّز والناحية، كأنه صار في الحدّ الذي فيه عدوّه، كما أن "شاقّ" صار في الشقّ الذي فيه عدوه. و"حادّ" الله في الآية أي خالف الله وعاداه وسيأتي الكلام على الفعل "يُوادّون" في هذه الآية في موضعه.

وقال تعالى: "ألم يعلموا أنه من يُحادِدِ الله ورسوله فأنَّ له نار جهنّم خالداً فيها" ٦٣ التوبة.

أقول: الفعل في هذه الآية "يُحادّ" بالإدغام وهو مجزوم لأنه فعل شرط، وحركة الجزم هي السكون، فكيف يظهر السكون على هذا الفعل الذي عرض له الإدغام؟

هنا تأتي الضرورة التي تقتضي فك الإدغام وذلك لأن التقاء الساكنين[1] كما قالوا يقتضي أن يحرّك الساكن الأول وهو الفعل "يحادّ" بحركة اجتناباً لهذه العلة الطارئة، وقد شاع أن تكون هذه الحركة كبيرة تلحق آخر الفعل، فقد فكّوا الإدغام وكسروا الدال الثانية في هذا الفعل وكان لهم ألا يفكّوا الإدغام ويبقوه ويحركوا الفعل المجزوم بفتحه، ولكنهم ذهبوا إلى الوجه الأول، وفي بعض القراءات جاء هذا الوجه الثاني.

ومن المفيد أن أشير إلى أن جواب الشرط في هذه الآية هو قوله تعالى: "فأن له نارَ جهنّم .....". وقد ثبتت هذه القراءة بفتح همزة "أن" ولا وجه لفتحها، ولكنها قراءة. والوجه هو كسر الهمزة الذي ورد في كثير من لغة التنزيل في مثل هذا الموضع وهو مجيء "إن" صدراً لجواب الشرط كما في قوله تعالى:

"إنه من يتقِّ ويصبرْ "فإنّ" الله لا يضيع أجر المحسنين" ٩٠ سورة يوسف.

ونعود إلى الفعل "يُحادّ" فنجد الإدغام فيه لعدم العلة الطارئة التي أشرنا إليها كما في قوله تعالى:

إن الذين يُحادّون الله ورسوله كُبِتوا...." ٥ سورة المجادلة.

٧- درأ:

وقد ورد الفعل "إدّارأ"، وهو "إتْفاعَلَ" في قوله تعالى:

"وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها" ٧٢ سورة البقرة.

وكأن اللغويين والصرفيين والمفسرين جعلوا هذا الفعل مثل تدارَأ معنًى وبنية.

أقول: إن الفعل في الآية معناه "تدارأتم" أي اختلفتم وتدافعتُم.

---

(١) أقول: وهذا مما قصّر فيه اللغويون القدامى فحسبوا الألف في "حَمارّة" ساكناً، فقالوا: التقى هذا الساكن بالراء الأولى الساكنة. إن وجه الخطأ في قولهم هذا يكون في جعلهم الألف التي هي فتحة طويلة، ساكنة، والألف حركة لا سكون، فكيف يلتقي الساكنان.

وأما بناؤه فهو "اتفاعلتم" الذي أنكره اللغويون على أنه من أبنية الفعل المزيد في العربية، وهو "تفاعلتُم" لديهم.

وقالوا: وأصله "تدارأتم" فأدغِمت التاء في الدال واجتُلبت الألف ليصبح الابتداء بها.

وذكروا أن الأصل وقع في الحديث الشريف: "إذا "تدارأتم" في الطريق ....." أي تدافعتم واختلفتم.

أقول: وكأن اللغويين صرفوا "إتفاعَلَ" كما في "اثّاقَلَ وادّارَأ"[1] إلى بناء "تفاعَلَ" لقلّة ما جاء من نظائر هذين الفعلين. وكأنهم لم يريدوا استحداث هذا البناء فذهبوا إلى قولهم: "باجتلاب الألف" ولم يتوقّفوا في سبب اجتلاب الألف هذه، وهل جاء مثل "الاجتلاب" في العربية.

٨- درك:

وقد جاء من هذا الفعل المزيد "ادّارَكَ" كما في قوله تعالى:

"بل ادّارَكَ عِلمُهُم في الآخرة بل هم في شكّ منها" ٦٦ سورة النمل.

أقول: جعل اللغويون هذا الفعل في هذه الآية بمعنى "تدارَكَ" وهو الأصل عندهم، وقالوا: رُوي عن الحسن أنه قال: جهلوا علم الآخرة، أي لا علم عندهم في أمر الآخرة.

وجاء في "التهذيب": وقوله تعالى: "قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيبَ إلا الله وما يشعرون أيّان يُبعثون بل ادّارَكَ عِلمُهُم في الآخرة" قرأ شيبة ونافع "بل ادّارَكَ"، وقرأ أبو عمرو "بل أدْرَكَ"، وهي في قراءة مجاهد وأبي جعفر المدني.

ورُوِيَ عن ابن عباس أنه قرأ: "بل آأدرَكَ علمُهم" يستفهم ولا يُشدّد.

فأمّا من قرأ "بل ادّارَك" فإن الفرّاء قال: معناه لغة "تدارَك" أي تتابَعَ علمهم في الآخرة، يريد بعلم الآخرة تكون أو لا تكون، ولذلك قال: بل هم في شكّ منها بل هم منها عَمون.

---

(١) أقول: إن تشديد الثاء والدال في الفعلين متأتّ من إدغام تاء "اتفاعَلَ" في فاء كل من الفعلين وهذا حاصل في طائفة من الأبنية القديمة، ومنه ما ورد في قوله تعالى:

"وما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم "يَخِصِّمون" ٤٩ سورة يس.

الفعل "يخِصِّمون" بتشديد الصاد أصل "يختصمون"، وتبعت الخاء الصاد فكُسرت.

قال: وهي في قراءة أُبَي "أم تَدارَك" والعرب تجعل "بل" مكان "أم"، و "أم" مكان "بل" إذا كان في أول الكلمة استفهام مثل قول الشاعر:

فوالله ما أدري، أسَلمى تَغَوَّلَتْ أم اليوم أم كلٌّ إلـيَّ حبيبُ

معنى "أم" بل.

وقال أبو معاذ النحوي: ومن قرأ "بل أدرك" ومن قرأ "بل ادّارك" فمعناهما واحد.

٩- ذخر:

وقال تعالى: "وما تَدّخرون في بيوتكم" ٤٩ سورة آل عمران.

أقول: أصل "تدَّخرون" هو الفعل "ذَخَرَ" بالذال، وقد بُني هذا على "افتَعَلَ" فكان بحسب ما هو مطّرد أن يكون "تذدخرون" وتاء الافتعال تبدل دالاً. وقد ورد هذا في بعض القراءات في هذه الآية. والذال من الحروف المهجورة والحروف اللثوية وهي الثاء والذال والظاء. والدال من الحروف المهجورة والحروف النَّطعية وهي الطاء والتاء. وكأن اللسان يذهب إلى الدال هذه، وهي أقوى من الذال، وهذه القوة أو الشدّة تعرض لفاء الفعل وهي الذال فتبدل "دالاً". وكأن الأصل "دخر" وليس لنا "دخر" في هذا المعنى. وقد شاع الفعل مع إبدال الذال الأصلية دالاً واستعمل الفعل "ادَّخَرَ" وكأنه بعيد عن "اذدَخرَ"، ومثل هذا المصدر "الادّخار" ولا يقال: "الاذدخار".

ولنا أن نأتي بنظير هذا الإبدال الطارئ مع تجنّب الأصل في الفعل "ذَكَرَ"، ويُبنَى على "افتعَلَ" فيكون منه "اذدَكر" والدال هنا إبدال من تاء "افتَعَل". غير أن شدة الدال ظهرت فأُبدلت الذال الأصلية دالاً وأُدغمت في الدال التي هي تاء "افتعل" بعد الإبدال فكان لنا من هذا "أدّكَرَ" كما في قوله تعالى:

"وقال الذي نجا منهما و"ادَّكَرَ" بعد أمّة أنا أُنَبّئكُم بتأويله" ٤٥ سورة يوسف.

وأنت تدرك في كل هذا الإبدال، وما يكون بعده من الإدغام طلب الخفّة التي درجت عليها العربية.

١٠- زمل:

قال تعالى: "يا أيّها المزَّمِّل، قُم الليل إلا قليلاً" ١ سورة المزمل.

وأصل "المُزَّمِل" هو "المُتَزمّل" وقد أدغمت التاء في الزاي لقربها منها، ذكر ذلك الزجّاج في "معاني القرآن".

أقول: وهذا الإدغام جرى التماساً للخفّة، وهو ما درجت عليها العربية الفصيحة، فأما العربية المعاصرة فقد رجعت إلى الأصل وهو "المتزمِّل"[١].

١١- زجر:

قال تعالى: "فكذَّبوا عبدَنا وقالوا مجنون وازدُجِر" ٩ سورة القمر.

أقول: والزّجْر هو المنع والنهي والانتهار. وزَجَرَه يزجُرُه زَجْراً وازدَجَرَه فانزَجَرَ وازدَجَرَ.

وجاء "الازدجار" في الآية في موضع الانزجار. وأصل "ازدَجَرَ" ازتَجَرَ وهو على "افتَعَلَ". وقد قرئ: "أزُّجِر" بإدغام التاء في "ازتُجِرَ" بالزاي قبله، وهذا من غرائب شواذ القراءات[٢].

ومثل الفعل "ازدُجِر" في هذه الآية قوله تعالى أيضاً:

"ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مُزدَجَر" ٤ سورة القمر.

---

(١) ومثل "المزَّمِّل" المُدَثِّر في قوله تعالى: "يا أيّها المُدَثِّر، قم فأنذِر" ١ سورة المدثر. والأصل هو "المتدَثِّر".

أقول: والعربية المعاصرة تميل إلى الأصل فلا تدغم التاء في الدال. وعجيب أن نرى في الألسن الدارجة هذا الإدغام الفصيح إذ يقال: المُدّثر والمزَّمِّل وغيرهما كذلك.

(٢) إدغام الدال في الزاي لم نجده في فصيح العربية، ولعله مما وُقِف عليه في بعض لغات القبائل التي تحمل على النوادر والغريب، ويؤيد هذا أنا نجده في بعض الألسن الدارجة في عصرنا، ذلك أن من العرب في عصرنا من يقول: يزّي وأصله يجزي، وبالزّاف وأصله بالجزاف.

١٢- زكو:

قال تعالى: "فقل هل لكَ إلى أن تزكَّى" ١٨ سورة النازعات.

"وما يُدريك لعلّه يَزَّكَّى" ٣ سورة عبس.

أقول: الفعل "تَزَكَّى" في سورة "النازعات" أصله "تَتَزَكّى" وقد أدغمت التاء الثانية في الزاي فكان من ذلك "تَزَّكَّى".

والفعل "يَزَّكَى" في سورة "عبس" أصله "يَتَزَكَّى".

١٣- سقط:

قال تعالى: "وهُزّي إليك بجذع النخلة يَسّاقَطْ عليك رُطَباً جنيّاً" ٢٥ سورة مريم.

أقول: وقرئ "تَساقَطْ وتَسّاقَطْ، فمن قرأه بالياء فهو الجذع، ومن قرأه بالتاء فهي النخلة، وانتصاب قوله "رطباً جنيّاً" على التمييز المحوّل، أراد: يَسّاقط رُطَبُ الجذع، فلما حُوِّل الفعل إلى الجذع خَرَجَ الرطب مفسِّراً.

قال الأزهري: هذا قول الفرّاء. قال: ولو قرأ قارئ تُسقِط عليك رُطَباً يذهب إلى النخلة، أو قرأ: يُسقِط عليك، يذهب إلى الجذع، كان صواباً.

أقول: وقوله: "يَسّاقَط" بتشديد السين أصله يتساقط، بالتاء فالسين ثم كان إدغام الأول في الثاني التماساً للخفّة.

وأعود فأكرّر: إن "التماس الخفة" يتحقق في القليل من الأصوات والحركات.

١٤- سمع:

قال تعالى: "لا يَسَّمَّعون إلى الملأ الأعلى" ٨ سورة الصافات.

أقول أصل "يَسَّمَّعون" هو "يَتَسَمَّعون" وقد طُويت التاء في السين.

١٥- شقق:

قال تعالى: ذلك بأنّهم شاقُّوا اللهَ ورسوله" ١٣ سورة الأنفال.

أقول: هو "فاعَلَ" من المُشاقَّة أو الشِّقاق أي العداوة. والفعل "شاقَّ" هذا بإدغام العين في اللام، والإدغام واجب، ولم يسمع فكّ الإدغام "شاقَقَ".

وهو كذلك في قوله تعالى:

"ويقول أين شركائي الذين كنتم تُشاقُّون فيهم" ٢٧ سورة النحل.

ثم نأتي إلى ما ندعوه المضارع في قوله تعالى:

"ومن يُشاقِّ اللهَ فإن الله شديد العقاب" ٤ سورة الحشر.

"ومَن يُشاقِقِ الرسول من بعد ما تَبَيَّن له الهدى" ١١٥ سورة النساء.

أقول: وكأنّ الإدغام وفكّه سواء في هذا الفعل المسند إلى الواحد، وكلاهما حُرِّك بالكسر الطارئ لتجنب التقاء الساكنين.

١٦- صدق:

قال تعالى: "إنّ المصَّدِّقين والمُصَّدِّقات وأقرضوا الله قرْضاً حسناً يُضاعفُ لهم" (١٨ سورة الحديد). أقول: "المصَّدّقين والمصَّدِّقات" في الآية أصلهما "المتَصَدِّقين والمُتَصَدِّقات" بالتاء والمفرد هو "مُصَدِّق" و "مُصَدِّقة" كما ورد الأصل في قوله تعالى:

"والمتصدِّقين والمتصدِّقات والصائمين والصائمات" ٣٥ سورة الأحزاب.

١٧- صيطر:

قال تعالى: "لستَ عليهم بمُصَيطِر" ٢٢ سورة الغاشية.

أقول: لو عدت إلى الأصل لكان لي أن أدرج الآية في موضعها معتبراً أن الأصل في "مصيطر" هو "مسيطر" بالسين وموضعها في باب السين كما فعل صاحب "المعجم المفهرس" غير أني آثرت ما هو مثبت في المصحف الشريف وجعلت الأصل بالسين والصاد سواء بسواء.

أعود إلى الفعل "صَيْطَر" الذي عدّه الصرفيون رباعيّاً مجرّداً وأقول هو أيضاً "سَيْطَرَ" ومعناهما معروف مشهور وهو "التسلّط". وكأنّي ألمح "السين واللام والطاء" الأصل للرباعي "سَيْطَرَ" والياء فيه زائدة، وقد صير إلى هذا الرباعي بزيادة الياء وبالقلب بين عين الفعل وهو اللام في "سَلَط" ولام الفعل وهو الطاء.

وأعود إلى غلبة الصاد في هذا الفعل في لغة التنزيل، وكأن هذه الغلبة للصاد على السين لا تكون إلا حيث يوجد الطاء في بناء الكلمة كما في "الصراط" في قوله تعالى "الصراط المستقيم" وفي آيات كثيرة أخرى، ولم يرد بالسين إلا في القراءات.

وكأن لغة التنزيل قد غلّبت الصاد على السين في "صراط" و"مصيطر" وقد قرئا بالسين في قراءات عدّة، وذلك لوجود الطاء على أن السين والصاد من الأصوات المهموسة الأسَلية، وأن الطاء من الأصوات المجهورة وهي نِطعية مبدؤها نِطع الغار الأعلى[1].

١٨- ضرر:

قال تعالى: "لا تُضارَّ والدةٌ بولدها" ٢٣٣ سورة البقرة.

أقول: والفعل "تُضارّ" مسبوق بـ "لا" الناهية، وهو مجزوم، والفتحة على الراء حركة مجتلبة والأمر معروف. وبناؤه على "فاعَلَ"، والإدغام فيه واجب، ولم يسمع فكّ الإدغام.

---

(١) ومن غريب البدل ونوادره ما كان من قراءة أحدهم: "لستَ عليهم بمُضَيطر" بالضاد.
أقول: والضاد من الأصوات المجهورة، وهي تسعة عشر صوتاً، والجيم والشين والضاد في حيّز واحد وهي الأصوات الشجرية.
وقد نستقري البدل بين الصاد والضاد فنجد أثره في الصبر والضبر والصدّ والضد. وإذا عدنا إلى شيء من اللغات السامية فوجدنا الضاد في بعض الكلمات العربية يقابله الصاد في العبرانية في الدلالة عينها.

والثلاثي هو "ضرَّ" المضعف ويبنى على "افتَعَلَ" فتبدل تاء "افتعل" طاء فيكون "اضطَرَّ" كما في قوله تعالى:

"ثم أَضْطَرُّهُ إلى عذاب النار" ١٢٦ سورة البقرة.

١٩- طهر:

وقال تعالى: "وإن كنتم جُنباً فاطَّهَروا" ٦ سورة المائدة.

:"والله يحبّ المُطَّهِّرين" ١٠٨ التوبة.

أقول: والأصل فيهما هو: "فتطهَّروا" و"المتطهِرين"، وقد اجتُلبت الألف في الفعل الأمر بعد إدغام التاء في الطاء.

وهذا الأصل يرد في قوله تعالى:

"إنهم أناس يَتَطهَّرون" ٨٢ سورة الأعراف

"إن الله يُحبّ التّوابين ويُحبّ المتطهِّرين" ٢٢٢ سورة البقرة.

٢٠ - طوع:

وقال تعالى: "الذين يلمِزون المُطَّوِّعين من المؤمنين ..." ٧٩ التوبة.

أقول: والأصل هو "المتطوِّعين".

٢١- طوف:

وقال تعالى: "وليطَّوَّفُوا بالبيت العتيق" ٢٩ سورة الحج.

أقول: والأصل: "وليتَطَوَّفوا".

وأنت ترى أن في الذهاب إلى الإدغام حساباً في الجهد الصوتي، وهو من هنا أخفّ من الأصل.

٢٢- طير:

وقال تعالى: "قالوا اطَّيَّرنا بك وبمن معك" ٤٧ سورة النمل.

أقول: والأصل: "تطَيَّرنا" وقد أدغمت التاء في الطاء فاجتلبت الألف وصلاً للطاء المشدّدة(١).

٢٣- ودد:

قال تعالى: "لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوادّون من حادَّ الله ورسوله" ٢٢ سورة المجادلة.

أقول: عرضنا لهذه الآية في "حادَّ" ونأتي إلى "يُوادّون" وهو المضارع لـ"وادَّ" بناء "فاعَلَ".

خاتمة:

عرضنا في هذا الدرس لطائفة من الأفعال المزيدة اشتملت على ظاهرة الإدغام، وشيء من الإبدال، وكان الغرض أن نشير إلى أن العربية جرت إلى خفة البناء فكان من ذلك هذا الذي بسطناه.

---

(١) إن "الخفّة" التي سعت إليها العربية حكمت بحذف التاء من "استطاع" فصار "اسطاعَ" كما في قوله تعالى: "فما اسطاعُوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً" ٩٧ سورة الكهف، وورود الفعل بحذف التاء وإثباتها إشعار بالجواز.